لفظة الحــزن
وأثرها في شعر نازك الملائكة

المدرس الدكتور
جاسم غــالي رومي
مركز دراسات الخليج العربي

الملخص :

تعد الشاعرة نازك الملائكة أحد اعمدة الشعر العراقي او العربي المهمة لمــا لها من اثر في تطويره لكي يصبح بالشكل الحديث وما يسمى بالحر . لذا فقد دلت لفظة الحزن لديها على معانٍ متعددة من خلال استخدام الشاعرة لها في قصائدها ، لذلك وفرت لنا دلالات عميقة ومتنوعة فهي تستخدم المفردة بشكل يثيــر القــارئ وبأسلوب متنوع لما ذكرنا في كلامنا من خلال قصائدها ومفرداتها مثل (الموت ، الكآبة ، الأسى ، الخوف) وكلها تدل على طابع الحزن في القصيدة لديها .

Sadness and It`s Effect on
Nazik Al Malaika poetry

Abstract

Nazik Al Malaika is one of greatest Iraqi or Arabic Poets because of her effect on imaging Poetry to become modern . She gawe Sadness multiple meanings through her poems and provided us with profound indicatives . She uses diversity Style in her poems , au of her Vocabularies of death , depression , great , and fear indicate the nature of grief in her poem .

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلــق أجمعــين أبـــي القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فالعلم باب واسع لا يستطيع أحد الوصول إليه وبحره واسع لا نـــدرك أعماقه وليس لهُ حدود وهذا من فضل الله وقدرته على جميع خلقه وجعل الإنســـان في أحسن تقويم

فقد كان موضوع البحث هو لفظة الحزن بمعناها اللغوي والاصطلاحي عنـــد نازك الملائكة وفي شعرها خاصة ، لذا فقد تناولنا هذا الموضـــوع لمـــا لـــهُ مـــن إيحاءات ووقع قوي في النفس البشرية ، فنازك الملائكة من شعراء ورواد العصر الحديث وتأثرت بالشعر الحديث وبمجموعة من الشعراء مـــنهم بشـــارة الخـــوري ومحمود حسن إسماعيل ، لذا فقد كانت لها نمطية خاصة في تطويع كلامها لقافيتها الشعرية الجديدة المسماة بالشعر الذي لايتقيد بموازين الشعر القديم ، ومن هنا أثرنا دراسة هذا الموضوع وبخاصة في شعرها الحر أو الحديث أمثال قصيدة (الكوليرا) و(ثورة على الشمس) و(شجرة الذكرى) و(إلى عيني الحزينتين) وما شابه ذلك .

فقد انتظمت مادة البحث من مقدمة عن فحوى الموضوع وتمهيـــد ومبحثـــان يلحقها فهرس للمصادر والمراجع أما التمهيد فقد جاء تحت عنوان (نبذه عن حيـــاة نازك الملائكة وثقافتها وأدبها) وجاء المبحث الأول تحت ثلاث مســـميات الأولـــى لفظة الحزن في اللغة والاصطلاح والثانية ظاهرة الحزن في الشـــعر المعاصـــر ، والثالثة الشاعرية والحزن ، أما المبحث الثاني فقد جاء تطبيقا" على شعر الشـــاعرة وهو مختارات من شعر نازك الملائكة تخص لفظة الحزن) ، هـــذا وقـــد اعتمـــدنا منهجا" قائما" على التنظير والتطبيق من شعرها وأخيراً نســـأل الله التوفيـــق فـــي مسعانا هذا لبيان هذا الجانب المهم في شعر نازك الملائكة للمتلقي.

التمهيـــد :

نبذة عن حياة نازك الملائكة وثقافتها الأدبية :-

تعُّد الشاعرة نازك الملائكة نقطة كبيرة في جسد الشعر العربي الحديث ، فقد ((ولدت الشاعرة في بغداد في ٣ من شهر آب (أغسطس) سنة ١٩٢٣ ، وكانـــت كبرى أخواتها وهم أربع بنات وولدان ، حيث أكملت نازك الابتدائية ثم المتوســطة وتخرجت من الثانوية عام ١٩٣٩ ، دخلت دار المعلمين العالية فرع اللغة العربيـــة وتخرجت منها بليسانس الآداب عام ١٩٤٢ بمرتبة الامتياز [١] . ودراسة نـــازك للنحو بأصوله وهبت لها حبُ الفلسفة ونظم الشعر منذ نعومة أظفارهـــا ، ولحبهـــا للمطالعة أعفياها أبواها من المسؤوليات[٢].

لذا ((من الواضح أن لأبويها تأثيرا" عميقا" في حياتها الفكرية الشعرية فأبوها ظل أستاذها في النحو حتى أنهت دراسة الليسانس وكانت تهـــرع إليـــه إزاء كـــل مشكل نحوي يعرض عليها))[٣] وبالمقابل كان لوالدتها أثرٌ واضـــح فـــي حياتهـــا الشعرية إذ كانت تعرض عليها قصائدها الاولى ، فتوجـــه اليهـــا النقـــد وتحـــاول ارشادها ، وقد تأثرت بالشعر الحديث ، شعر عمر أبوريشه ، وبشارة الخـــوري ، ومحمود حسن وإسماعيل وغيرهم[٤].

وكذلك أسهمت نازك الملائكة خلال دراستها في دار المعلمين العاليـــة فـــي حفلات الكلية بإلقاء قصائدها .. تقول أنها أقبلت على نظم الشعر إقبالا" شديدا" منذ عام ١٩٤١ [٥] أي عندما كانت طالبة في الكلية ، ووصفت ذلك العام بأنـــه بدايـــة نضجها الروحي والعاطفي والاجتماعي ، ((وفي عام ١٩٤٢ سجلت نازك نفســـها في فرع العود بمعهد الفنون الجميلة وطالبة في فـــرع التمثيـــل))[٦] ، وتقـــول : ((نازك الملائكة بشأن دراستها التمثيل أن لها دافعين أثنين ، أولهما أن تـــتعلم فـــن الإلقاء لخدمة قصائدها ، لكي تعرف كيف تلون صوتها بالانفعال وترفعه وتنغمـــه مع معاني قصيدتها ، وثانيهما أنها أطلعت على منهج الدراسة في هذا الفرع فبهرها

ولا سيما بوجود دراسة مسهبة للميثولوجيا الإغريقية بكل تفاصيلها الدقيقة ومداخلها ومخارجها))[٧].

وكذلك فأنها :((ولشدة حبها للغة اللاتينية فقد دخلت في قسم اللغة الانكليزية لدراسة اللاتينية التي أضافوها كمادة للدراسة حتى أنها ظلت تقتني كتب الشعر اللاتيني))[٨] .ولذا نجد أنها :((وفي عام ١٩٤٧ صدرت لها أول مجموعة شعرية سمتها (عاشقة الليل)، ومثل أي شاعر رومانسي تضع عواطفها على الأشياء ، وكان الليل عندها يرمز إلى الشعر والخيال والأحلام المبهمة ،وجمال النجوم وروعة القمر ، والتماع دجلة تحت الأضواء)).[٩]

ونجد كذلك : ((وبعد صدور عاشقة الليل بأشهر قليلة أنتشر وباء الكوليرا في مصر الشقيقة ، وراحت الأخبار تذكر أعداد الموتى المتزايدة انفعلت الشاعرة انفعالا" شعريا"))[١٠]. وتبعها لهذا أنها : ((نظمت قصيدتها المشهورة بـ (الكوليرا) ذات الصدى الواسع والأشطر غير المتساوية الطول وقد لاقت هذه القصيدة من عائلة نازك الملائكة الرفض والاستهزاء بها _أي القصيدة _ ولكنها أصرت على أنها ستغير طريقة الشعر [١١] .

ونجد في عام ١٩٤٩ قامت نازك : ((في بغداد بإصدار مجموعتها الشعرية الثانية ((شظايا ورماد))، وقد صدرتها بمقدمة أدبية عرضت فيها موجزا" لنظرية عروضية لشعرها الجديد))[١٢]. وأحدث شعرها هذا ضجة بين النقاد لكن وصل صدى شعرها إلى بلدان عربية كمصر ولبنان وسوريا ، وبالسنة نفسها درست نازك اللغة الفرنسية مع أخيها نزار في البيت وكان نزار طالبا" في دار المعلمين / اللغة الانكليزية .

وفي عام ١٩٥٣ دخلت نازك : ((دورة في المعهد العراقي ، قرأت فيها نصوصا" من الأدب الفرنسي))[١٣].وكذلك في عام ١٩٥٠ دخلت الشاعرة : ((دورة في المعهد الثقافي البريطاني لدراسة الشعر الانكليزي والدراما الحديثة))[١٤].وقد درست النقد الأدبي برتشن في نيوجرسي في الولايات المتحدة

الأمريكية : ((وبعد عودتها إلى العراق عام ١٩٥١ اتجهت إلى كتابة النثر ولا سيما في النقد الأدبي))[١٥].

كما أرسلت نازك الملائكة في بعثة لدراسة الأدب المقارن في جامعة وسكسن عام ١٩٥٤ حيث :((أتاح لها موضوع الأدب المقارن الاستفادة من اللغات الأجنبية التي عرفتها ، وبخاصة الانكليزية والفرنسية وخلال الدراسة اكتسبت ثقافة غنية أخصبت ذهنها))[١٦].

وقد حصلت خلال دراستها على شهادة الماجستير في الأدب المقارن .وكذلك وفي عام ١٩٥٧ صدرت لها في :((في بيروت مجموعتها الشعرية الثالثة {قرار الموجه} وقد احتوت على منتخبات من شعرها بعد شظايا ورماد ونشرتها دار الأدب ببيروت))[١٧] وفي عام ١٩٦٠ تعرفت على الدكتور عبد الهادي محبوبة في قسم اللغة العربية جامعة البصرة، وفي منتصف عام ١٩٦١ تزوجها))[١٨] وفي عام ١٩٦٢ صدر لها أول كتاب في النقد الأدبي هو ((قضايا الشعر المعاصر)) وقد درست فيه الشعر الحر دراسة خاصة مفصلة))[١٩] . وفي عام ١٩٦٤ عملت في التدريس في قسم اللغة العربية بجامعة البصرة وغادرت إلى بغداد أواخر عام ١٩٦٨ حيث عادا إلى التدريس في كلية التربية سنة واحدة ثم غادرا العراق إلى الكويت للتدريس في جامعتها))[٢٠] وقد ألفت سنة ١٩٦٤ كتاب الشاعر علي محمود طه الذي تأثرت به نازك منذ أيام الصبا ، وقد : ((طبع هذا الكتاب في القاهرة عام ١٩٦٥ ، وكان عنوان طبعته الثانية (الصومعة والشرفة الحمراء)) وفي أول سنة ١٩٦٨ صدرت لها المجموعة الشعرية شظايا ورماد)) ويتضح من استقراء شعرها إن تأثرها بالرومانسية كان تأثرا" إيجابيا" أي أنها لم نتسخ صورتهم وإنما استعرضت الفلسفة العامة التي قامت عليها الرومانسية))[٢١].

وقد اهتمت نازك بالشعر الجديد وبالذات والأحاسيس واعتمادها على الخيال: ((وإذا جاءت بعض أفكارها مشابهة أو مطابقة لبعض أفكار الرومانسيين من الانكليز أو العرب فهذا الأمر يعزى إلى كثرة قراءاتها ومتابعاتها المتواصلة كما كتب في هذا الخصوص[٢٢].

المبحث الأول

ويتكون من ثلاثة عنوانين :-

أ. لفظة الحزن في اللغة

ب. ظاهر الحزن في الشعر المعاصر

ج- الشاعرية والحزن

أ) لفظة الحزن في اللغة:-

لقد وردت لفظة الحزن في القرآن الكريم مرات عديدة منها في قوله تعالى : ((إنما أشكو بثي وحزني إلى الله)) (سورة يوسف آية ٨٦) و((الحزن معروف ، يقال حزن يحزن حُزنا" وحَزَنا... وحزني وَحَزَنَي هذا الأمر وأحزنني))[٢٣].

وعند أبن منظور (ت٣٢١هـ) أن ((الحُزْنُ والحَزَنُ :نقيض الفرح ، وهو خلاف الفرح))[٢٤] . أما عند الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥ هـ) ((الحُزْنُ والحَزَنُ: خشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيها الغم ، ويضادهُ الفَرح ، والاعتبار الخشونة في الغم قيل : خشنت بصدره ، إذ أحزنته يقال حَزْنُ يَحَزَنُ ، وحزنُتُه ...))[٢٥].

وقد ذكر أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) عن الحزن ودلالته ((حزن – الحاء والزاء والنون أصل واحدُ وهو خشونة الشيء وشدّةٌ فيه من ذلك الحزن وهو ماغلظ من الأرض ... وقد قالوا أحزنني ، وأحُزنتك : أهلك ومن تتحزَّن له)) [٢٦] .و((الحزانةُ ، بالضم والتخفيف : عيال الرجل الذي يتحزن بأمرهم ولهم)) [٢٧].

ويمكن الإحاطة ولو بشيء اليسير لفظة (الحزن) من الناحية المعنى وهي ماخشُنْ في صدر الرجل ، تبعا" لمعنى الكلمة في الأرض ، وهي كذلك الشدة في الأمر ، وحزن الرجل على عياله وأهله وكذلك تحزنه لما يحصل له من غمٍ وخشونة في النفس هو من الحزن الذي يكون نقيض الفرح .

أما لفظة الحزن في الاصطلاح فهي تكمن في كون التغيير الذي يحصل على حال الرجل وتبدل حاله كأن يسمع خبرا" محزنا" أو يرى أمرا" يحزنه فينعكس هذا على نفسه والحزن كما هو معروف ضد الفرح ، والحزن يكون في نفس الإنسان كذلك يكون ملحوظا" على شكل الشخص الحزين [٢٨].

ب) ظاهر الحزن في الشعر المعاصر :ـ

وقد تجسدت هذه الظاهرة في شعر نازك الملائكة ، وخير دليل على ذلك أنها تعد من أكثر الشعراء المعاصرين حديثا" ، عن لفظة الحزن ومع ما يتخلل قصائدها من الحزن مشاهد حية صادقة التعبير ومن مواقف إنسانية يتجسم فيها الباعث على الحزن في قصائدها الأخرى هي في رأي النقاد أبعد في دلالتها وأشد التصاقا" بالذات ... والشيء نفسه يقال للشاعرة نازك فأعتيادها للحزن لا تمثل أبعاد موقفها الحزين وتساعد على ذلك القصائد الكثيرة التي كتبها الجيل الثاني من الشعراء والجيل الناشئ فكل مافيه من حديث عن الحزن لايجسم لنا الموقف لا غرابة إذن في أن نعتني في دراستنا هذه القصائد التي عن الحزن حديثا" مباشرا" وأن نلتمس أبعاد الموقف الحزين فيما دون ذلك من قصائد [٢٩].

وأول ما نقف عنده الآن هو الإطار المأساوي العام للموقف الحزين وهو الذي يمثل في هذا الوقت الإدراك الشعري هنا للصورة المقابلة للإدراك التجريدي.

أي أن الشعر يواجه الوقائع المفردة في الحياة والوقائع الصغيرة التي يمكن أن تكون نافذة على العالم الكبير أو التي تتذكر فيها صورة هذا العالم ويمثل لهذا هنا بقصيدة ((حفارين)) للشاعرة نازك الملائكة ففي أحد مقاطعها تقول عن هذين الحفارين وهما بطبيعة الحال من حفارين القبور حيث تقول فيها :-

طالما حفر في التراب

حفر في الغياب

ربما حفر في شحور الخريف

أو عبوس الشتاء المخيف

طالما شوهدا يحفران

يحفران ، يظلان في لهفة يحفران

وهما الآن فوق الثرى ميتان (٣٠)

ج) الشاعرية والحزن:-

نجد إن ظاهرة الحزن واضحة ومتأصلة في الشعر المعاصر حيث يؤمن علي محمود طه بالشاعرية في صورتها الصافية ملازمة للحزن والكآبة والشحوب، ونجد هذا المعنى واضحا" في افتتاحية مطولة هي ((الله والشاعر)).

لاتفزعي يأرض لاتفرقي من شيح تحت الدجى عابر

ماهو إلا أدمي شقـــى سموه بين الناس بالشاعـر

في هذا المقطع يبدو أن الشاعر ((أدمي شقى)) في الحقيقة وإنما يسمى عند الناس بالشاعر . فالشاعر في هذا النص ليس أكثر من (أسم) لحقيقة (الآدمية الشقية) ونجد مثل هذا المعنى في القصيدة الجميلة ((غرفة الشاعر)) وهي تصوير الشاعر إنسانا" كئيبا" كثير التأمل ، يستقر في غرفة صامته مصباحها هزيل يذكر برفق الحياة الأخيرة (٣١) . وفي هذه القصيدة ترد الأبيات الآتية :-

آه ياشاعري لقد نصل اللي -ل مازالت سادرا" في مكانك

ليس ينجو الدجى عليك ولايا سى لتلك الدموع في أجنانـك

والحق أن تلك الدموع ، لاتفارق عيني ((الشاعر)) إلاّ نادرا" فهو بطبيعته إنسان دامع العينين (ذو ضنى وشحوب)(٣٢).

المبحث الثاني

مختارات من شعر نازك الملائكة تخص لفظة الحزن:-

ومن القصائد التي وردتْ فيها واضحة لفظة الحزن قصيدة ((الكوليرا)) التي تقول في مقطع منها :- (٣٣).

سكت الليل

أصغ إلى وقع صدى الأَمان

في عمق الظلمةِ ، تحت الصمتِ ، على الأمواتْ

صرخات ، تعلو ، تضطرب

حزنٌ يتدفقُ يلتهبُ

يتعثرّ فيه صدى الآهات

في كل فؤادٍ عملياتُ

في الكوخ الساكن أحزان

في كلّ مكانٍ روحٌ تصرخَ في الظلمات

في كلّ مكان يبكي صوتْ

هذا حاقد مزّقهُ الموت

الموتُ ، الموتُ ، الموتُ

ياحزن الليل الصارخ فما فعلَ الموتْ

طلع الفجرُ

إن هذه القصيدة المسماة ((الكوليرا)) هي السلاح الذي دافعت به عن رأيها في كون هذه القصيدة هي أول ماكتبته الشاعرة بتفعيله الاشطر بكونها رائدة الشعر الحر، وقد كتبتها بعد ما سمعت عدد الموتى يزداد أثر مرض الكوليرا" في مصر فأخذها حزنٌ عميق فنجد أن الطابع العام للقصيدة هو صورة الحزن والبكاء والسكون وتجلي الأموات وأجساد ارتسمت عليها صورة الحزن ، ونلاحظ كذلك أن الصورة الشعرية لدى الشاعرة قد حملتها بألفاظ لها معانٍ وأبعاد نفسية وشعرية كثيرة في ((صرخات ، حزن يتدفق ، روح تصرخ ، يبكي صوت الموت حزن الليل ، يندبه محزون ، صوت الطفل)) . وكل هذه الألفاظ قد حملت صورة الحزن لدى الشاعرة ، كذلك نجد أن تكرار مفردة ((الموت)) أكثر من خمس مرات لهُ وضع معبّر عما يجول في نفسية الشاعرة تجاه هذا الحدث المؤلم من حزن يكمن في داخلها فلهذا تحاول أن تصل بهذه الألفاظ والعبارات إلى الصرخة

الحزينة . وكذلك هناك ارتباط ترسمه الشاعرة لنا وهو بين (الظلمة والليل) وبين (الحزن العميق) دلالة على أن هذا الحزن له بعد عندما يمر أثناء الليل وفي وقت الظلام الشديد ، وهي في هذه القصيدة تشير للموت وما يفعله في الناس مثل (مزقه الموت) و(هذا ما فعلت كف الموت).

وقد جانست الشاعرة عبرة دقة متواصلة في إبداع واضح متواصل بين المفردات لترسم صورة متكاملة عما تريد إيصاله فهي تربط بين (الفؤاد والكوخ) ، (الليل الصارخ ، الفجر) ، (صبر ، لحظة إخلاد) ، لذا نجد أن نازك الملائكة قد صورت الحزن يتدخل في كل لحظة تمر عليها ابتداء" من سكون الليل وحتى صرخات وبكاء الأصوات وحزن الليل إلى أن تصل إلى ما فعل كفنّ الموت.

وقد جاءت لفظة الحزن متأصلة في مقطع من قصيدتها ((ثورة على الشمس)) التي تقول فيها:- (٣٤)

وقفت أمام الشمس صارخةً بها
ياشمسُ، مثلك قلبي المتمَرّد
قلبي الذي جرفَ الحياة شبابَهُ
وسقى النجوم ضياؤه المتجدّدُ
مهلا"،ولا يخدعك حزنُ حائرُ
في مقلتيّ ، ودمعةٌ تنهّدُ
فالحزنُ صورةُ ثورتي وتمّردي
تحت الليالي والألوهة تشهدُ
مهلا" ولا يخدعك حزن ملامحي
وشحوب لوني وارتعاش عواطفي
وإذا المحن على جبيني حيرتي
وسطور حزني الشاعريّ الجارف
فهو الشعور يثيرُ في نفسي الأسى
والدمع في هول الحياة العاصفِ

وهي النَبّوةُ لم تطر فتمرّدت

الحزْنْ ، في الحياة الكاسفِ

تعدُّ هذه القصيدة التي يبرز فيها العنوان بشكل ملفت للنظر من قصائد متعددة لنازك الملائكة مشبوبة بحزن عميق في نفس الشاعرة ، حتى أن ثورة نازك التي تندفع من الداخل قد رسمت صورة واضحة من خلال القصيدة نتيجة الانفعال الداخلي الذي تحس به فنلاحظ أن الوجه العام للقصيدة مملوءة بصور نفسية حزينة، فضلا" عن تعدد هذه الصور تبعا" لحالة الحزن التي تعيشها الشاعرة ، كذلك هناك بعد معنوي تأخذه القصيدة من خلال إنطلاق ذات الشاعرة نفسها بإتجاه أكثر من معنى ، فالألفاظ التي أوردتها نازك الملائكة ((الحزن ، صارخة ، في مقلتي ، شحوب لوني ، سطور حزني)) . كلها تدل على مدى الحزن العميق في نفسيتها ، فهي كأنما تعيش متكيفة مع هذه الألفاظ الدالة على الحزن ، وهي تجعل من لفظة ((الشمس)) مخاطب تخاطبه على ما يجول في داخل نفسها المتمردة ، فهي ترى أن حزنها يشبه حزن الشمس في ((مثلك قلبي المتمرد)) ونجد أن هناك حسرة في نفسها ((قلبي الذي جرف الحياة شبابهُ)) وهي ترى كذلك أن حزنها نابع من هذه الثورة الداخلية والتمرد النفسي في ((فالحزن صورة ثورتي وتمردي)).

ونجد كذلك أن الشاعرة كررت من ((ولا يخدعك حزن) دلالة على تكرار آهات الحزن العميقة لديها ، فضلا" عن تعدد صفات مثل ((شحوب لوني ، على جبيني حيرتي ، سطور حزني)) دلالة على مدى الشعور النفسي والمادي الذي تعيشه نازك ، وهناك ألفاظ نراها تدل على صورة الحزن مثل ((الدمع ، وجه الحياة ، الكاسف ، في نفسي الأسى)) . وقد وفقت الشاعرة في هذه القصيدة في إيصال صورة الحزن إلى المتلقي .

وفي قصيدة أخرى من قصائد ديوانها التي تقع تحت عنوان (شجرة الذكرى) تصّر نازك الملائكة على تكرار لفظة الحزن بعدة ألفاظ متنوعة وكما تقول في مقطع منها :-[٣٥]

تذكرتُ والقلب في حزنه

وقوفي .. في ظلها الساحر

كأن لم تمر الليالي الطوال

على أمسي المبعد .. الدابر...

وقفت أكفكف دمعي السخين

وأصرخ من ألمي الأسر!

أقص على ظلها ... قصتي ...

قصصت عليها حديث الكئيب

وفي يدي ... الشوكة القاطعة!

أقرئها والأسى غالبي ....

على ساقها اليرة الوادعة

فياليدي ! جدوتُ ساقها!

وجدت أزاهيرها اللامعة

كأني بذاك ..جرحتُ الحياة

وعاقبت أقدارها الخادعة!!

لا يقتصر الحزن هنا على واحد بل ربما يأتي تبعا" لظروف تحيط بالشخص وتؤدي به إلى الحزن ، وأحيانا" يعبر الفرد عن حالة الحزن التي يعيشها بأوجه مختلفة تأخذ بعدا" لدى السمع ، فنازك الملائكة يبدو أنها تحزن لكثير من الحالات التي تمر بها ، فهذه القصيدة بعنوانها البراق ((شجرة الذكرى)) يبدو أن الشاعرة ترسم لذكرياتها اللوحة الكبرى وتلونها بالألفاظ المشوبة بالحزن ، فهناك ألفاظ تدل على الحزن ((ألمي ، الكئيب ، الأسى ، قصتي ، والقلب في حزنه)). وهذه الألفاظ تشكل المادة الخام لصورة الحزن النابعة من خواطر الذكريات ، ونجد تكرار ضمير المتكلم في كثير من الألفاظ ((وقوفي ، أمسي ، يدي ، ألمي ، كأني ، غالبي)).دلالة على الحالة المتصلة والانفعالية بين واقع الشاعرة وبين مايمر بها من ذكريات ، وهي تستخدم الألفاظ التي تحمل الواقع الحقيقي المتصل بها ، فهي

تستخدم ((المبعد ، الأسر ، الغادر ، الكئيب ، الأسى ، جدوت ســاقها، اللامعــة ، الخادعة)) وهذه الألفاظ جميعها تحمل دلالات ومعانٍ حسية ولهــا القابليــة علــى الاستمرار في كل وقت ، ولهذا نجد أن الشاعرة تميل إلى مثل هذه الألفاظ في كثير من قصائدها ، لتبقى هذه الألفاظ تحمل معنى الحزن في كل وقت ، ولهــا القــدرة على أبراز فعالية القصيدة ، فنازك الملائكــة تجعــل مــن ((شــجرة الــذكرى)) ((أقصى عليها ، وقوفي في ظلها الساحر)) ، كذلك ترسم لنا بصورة رمزية كيفية بدء هذه الأحاسيس من خلال ماتورده ((وقفت ثم قصصت وجدت جرحــت)) . فنجدها أنها تنتقل من حالٍ إلى حالٍ تبعا" للحالة التي تمر بها . وأكثر مــا تــذكره يـــوحي إلى معان هي ((الليل)) وما ينتابها فيه من مشاعر متوجهــة بــالحزن والعبرة.

ولها أيضا" قصيدة تؤصل فيها من خلال (عينيها الحزينتين)) وهــي تحــت عنوان (إلى عيني الحزينتين)) التي تقول في مقطع [٣٦]:-

عيني .. أي أسىً يرين عليكما
ويثير في غسق لدجى دمعيكما؟
إني أرى ... خلف الجفون .. خداعة
أشظف الكون العريض المبهما!
أخفقان .. تحت الليل .. ألمع فيهما
قطرات ضوءٍ ..... يرتشفن الانجما..
الكون مبتسم !فأية لوعة ...
يامقلتي ... تلوح في جفنيكما؟!
مسكيتان !! لأيتما مالا يرى
جبل أقام على الضلال وهوما
جهل الحقائق في الحياة .. فلم يطق
عن زيفها هربا" عاش ومهرما
مسكيتان كتمتها حمم الأسى

فأين تأوه خافقي أن تكتما!

فإذا الدمع غشاوة رفعت على

جفيكما ... سبلا" ... سخينا" ... مفعما"

ولأيتما.. خلل الدموع ... مفاتن الـــ

بماضي ... وطاف الشوق في أفقيكما

عشا تصومان التوسل في الدجى

نجد هنا أن الشاعرة نازك الملائكة تعد من أبرز الشاعرات اللـــواتي تحـــدثن عن الذات بشكل صريح ، وقد جعلت نازك من نفسها في كثير من قصائدها رسما" تبين فيه مدى ما تحس به من ألم وأسى وحسرة مشبوبة بـــالحزن ، ومـــن خـــلال عنوان القصيدة يبدو أن الشاعرة أعتادت أن ترى الحزن يسيطر على عينها ، وهي كذلك تورد ألفاظ مترابطة فيما بينها وتحت مسميات مختلفة ((عيني ، ودمعيكما ، ولوعة ، جفنيكما ، الدموع غشاوة ، أفقيكما)) وهذه الألفاظ تأخذ بعدها الاشاري في ما تعطيه من معنى ، ونجدها تضفي صفات إنسانية على بعض الموضوعات فهي تعطي الابتسامة للكون والقطرات للضوء وتذكر غشاوة الدموع .

وقد حاولت أن تجسد العلاقة بين مفردات القصيدة من أجل أن يتشكل مجســـم كلي من ذلك الحزن العميق الذي تراه في عينها . فهي تربط بين ((الليل وغســـق الدجى)) و((الدموع ومظهر النجوم)) وبين ((ماضي الدموع وحاضرها المـــؤلم)) وهناك صورة جميلة في قصيدة نازك هي موضع ((استنطاق الكون)) و((ابتسامة الكون)). فهي تحاول أن تجد تلك الصورة بواسطة عيونها تجاه هذا الكـــون، لكـــن وجود الدموع قد حال دون ذلك ((فإذا الدموع غشاوة)).

وهي في موضع آخر تخاطب العيون وبوجود (ياء المتكلم)،((مســـكيتان)) ، ((تاؤه خافقي أن تكتما)) ، ((جفنيكما .. ورأيتما ... تصوفات التوسل)) .

فهي من خلال منظومة الخطاب هذه تشكل صورةً عن تلك الأحـــزان التـــي ترسم على العيون .

وفي قصيدة أخرى تصف فيها ((مأساة الأطفال)) ودموعهم وحزنهم العميق إذ تقول في مقطع منها :-

ودموع الأطفال تخــرجُ لكــن
ليس منها يدّ فيا للشقاءِ
هؤلاء الذين قد منحواالحسّ ما
مايملكون غير البكـــــاءِ
منحتهم لحــنّ الطبيعة قلبــا"
وبشريا" يتشعــر الألامــا
ورمتهم في كفــّة القدر الغا
شم جسما" لا يستطيع كلاما
فإذا ما بكوا فأدمع خــرس
ربما كان خلفها الف معنى
ربما كان خلفها الألم القــا
تل أو رغبةٌ مع الريح تفنى
ولدوا صارخين بين يد الاق
دار فليصرخوا ليوم المماتِ
فهم يصرخون من ألم المق
بل أويندمون ماقد ضاعــوا
أولم يقبلوا على غيهــب العا
لم حيثُ المحيا أسً وصراعُ
ياجموع الأطفال يامرهفي الحسّ
كفاكــم تفجعـــا" وبكــاءِ
لم يزالوا في أول العمــر المــرّ
ورأيــا تفرقــون الشفــاءِ

لقد وظفت الشاعرة في كثير من قصائدها الألفاظ ذات المعانِ الواسعة من أجل أن تشكل منظومة كبرى داخل القصيدة ، وهذا مما يسهل على المتلقي والقارئ لقصائدها أن يتفاعل مع نص القصيدة وأن يتفاعل مع مقصدية الشاعرة ، وبذلك يترك القارئ يبحر بمخيلته تجاه ماتحمله هذه الألفاظ من معانِ ويكتشفها حتى يصل إلى المعنى، وألفاظ نازك هنا في هذه القصيدة قد احتوت فهما" كاملا" للمعنى ، فالألفاظ ((الدموع، البكاء ، الألم ، صارخين ، ضاعوا تفجعا")) . كلها تدل في نفسها على ماتكتب من حزن عميق ، خاصة وهي تتحدث عن ما يحل بالطفل من مآسٍ أثر ذلك الوضع الصعب ، وأنها تصف بواسطة المفردات الشعرية مايحدث أمامها وهي تتفجع وتحزن لذلك من خلال ((فإذا مابكوا ، فأدمع خرس...ولدوا بين الأقدار .. أو يندبون ماقد ضاعوا .. كفكم تفجعا" وبكاء")).

فهي إذن تصل إلى حدِ خطاب هؤلاء الأطفال . وهي تعمل على تحريك جميع المفردات الشعرية في القصيدة التي تأخذ بعدا" واسعا" في ابراز صفة الحزن على القصيدة فمن ((الدموع ، البكاء، الصراخ ، الألم ، الممات ، الندبة ، الصراع ، والأسى)) إلى تجانس هذه الألفاظ وإظفاء الحس الحزني على الجو العام للقصيدة إذ أن هذه الألفاظ ومثلها نجد أن الوجة الآخر لمعانيها يعطينا صورة وصوت الحزن الواضح .

الخاتمة ونتائج البحث

تعد الشاعرة نازك الملائكة أحد أعمدة الشعر العراقي أو العربي المهمة لما لها من أثر في تطويره لكي يصبح بالشكل المتكامل وهذا وقد ذهبت منذ نعومة أظفارها ونتيجة لحبها للمطالعة إلى كتابة الشعر ولو بقصائد بسيطة ولكنها توسعت بها إلى قمة العطاء من خلال التجربة المتواصلة فخلفت عالما" شعريا" خاصا" بها كانت لهُ نتائجه الواضحة في شخصيتها وثقافتها الموسوعية المتكاملة ودراستها للغة اللاتينية والفرنسية والانكليزية وبشكل متواصل وكذلك من خلال دراستها الأدب المقارن في جامعة وسسكس وكما أسلفنا في مقدمة البحث .

ومن النتائج التي حققها البحث منها تأثر نازك بالوضع الاجتماعي في العراق والبلدان العربية ولاسيما الوضع الأسري ومالاقته من اضطهاد وبخاصة بعد فقد والدتها وتألمها على أطفال العراق ومصر وما لا قوه من أسى ، فوظفت ألفاظ الحزن كظاهرة عامة لشعرها ، من خلال ألفاظ البكاء والصراخ والحزن والأسى والموت والكآبة وغيرها وخاصة في قصائدها كالكوليرا ومأساة الأطفال وإلى عيني الحزينتين وغيرها .

وقد دلت لفظة الحزن على معانٍ متعددة لديها من خلال استخدام الشاعرة لها في قصائدها ، لذلك وفرت لنا دلالات عميقة ومتنوعة فهي تستخدم المفردة بشكل يثير القارئ وبأسلوب متنوع كما ذكرنا في كلامنا في النتيجة الأولى مثل الموت ،الكآبة ،الأسى ، الخوف وكلها تدل على طابع الحزن في القصيدة لديها .

أو من حيث شخصية نازك فأنها تمتلك شخصية عاطفية سريعة التأثر والتأثير في المتلقي وقد ظهر في معظم قصائدها ومنذ نعومة أظفارها فهي سريعة التأثر كما في قصيدتها (الكوليرا ومأساة الأطفال) أي انها الأم الحنونة الثائرة على الواقع تعالج هذه القضايا بكل شغف عاطفي ونفسي ووجداني عظيم المنبع أصيل العاطفة والتعبير وكما وردة في مختارات من قصائدها آنفة الدراسة . وأخيرا" نقول أنها رسمت لها خطا" شعريا" فنجحت فيه وبكل جدارة عالية الجودة .

الهوامش

(١) نازك الملائكة حياة وشعر وأفكار (فخري كريم) :-١-

(٢)ينظر :نازك الملائكة عاشقة الليل :١٠-١١

(٣) نازك الملائكة حياة وشعر وأفكار :١٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه :١٢

(٥) ينظر : المصدر نفسه :١٢.

(٦)الشعر المعاصر ، قضايا ه وظواهره الفنية والمعنوية:٣١٠

(٧) المصدر نفسه :١٧

(٨) نازك الملائكة حياة وشعر وأفكار :١٣.

(٩) المصدر نفسه :١٣.

(١٠) نازك الملائكة دراسة ومختارات :١٤

(١١)نازك الملائكة ك دراسة ومختارات :١٧

(١٢)المصدر نفسه :١٥

(١٣) نازك الملائكة عاشقة الليل :١٨.

(١٤) المصدر نفسه :١٩:

(١٥) ظاهرة الحزن في الشعر المعاصر :١٩.

(١٦) المصدر نفسه : ٢٠ .

(١٧)المصدر السابق :٢٠.

(١٨) ظاهرة الحزن في الشعر المعاصر :٢١.

(١٩)المصدر نفسه :٢١.

(٢٠) نازك الملائكة عاشقة الليل :٢٣

(٢١) المصدر نفسه :٢٢

(٢٢) مجلة أقلام (ع١١-١٢،ت-ك)١٩٨٩:٦٧

(٢٣) جمهرة اللغة (لابن بكر محمد بن الحسن بن دريد):٥٢٩١.

(٢٤) لسان العرب (لابن منظور) :١٥٧/١.

(٢٥) مفردات الفاظ القرآن (للراغب الاصفهاني) :٢٣١/٢.

(٢٦) معجم مقاييس اللغة (أحمد بن فارس بن زكريا) : ٥٤/٣.

(٢٧) لسان العرب :١٥٨/١.

(٢٨) لسان العرب :١٥٨/١.

(٢٩) ينظر: الشعر المعاصر ،قضاياه وظواهره الفني والمعنوية (د.عز الدين اسماعيل) : ٣٠٨.

(٣٠) ديوان نازك الملائكة :٥٤.

(٣١) نازك الملائكة ، الأعمال النثرية الكاملة (د.أحمد مطلوب) :١٨١-١٨٣.

(٣٢) المصدر نفسه :١٣٩.

(٣٣) ديوان نازك الملائكة :٦٦

(٣٤) ديوان نازك الملائكة :٦٠

(٣٥) ديوان نازك الملائكة :٧٤

(٣٦) ديوان نازك الملائكة :٧٨.

فهرس المصادر والمراجع

١- جمهرة اللغة (لابن بكر محمد بن الحسن بن دريد) (ت ٣٢١هـ) : تحقيق د. رمزي منير بعلبكي ، ط١ ، ١٩٧م.

٢- ظاهرة الحزن في الشعر المعاصر، قضاياه وظواهرة الفنية والمعنوية (د.عز الدين إسماعيل) ، ط١ ،١٩٩٢م.

٣- لسان العرب (أبن منظور ٦٣٠ هـ-٧١١هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت -لبنان

٤- نازك الملائكة حياة وشعر وأفكار (فخري كريم) ، ط١٩٨٩،١م.

٥- نازك الملائكة الأعمال النثرية الكاملة (د.أحمد مطلوب) ، ط٣ ،١٩٨٦م.

٦- نازك الملائكة دراسة مختارات (د.عبد الرضا علي) ، ط١ ، ١٩٩٨.

٧- نازك الملائكة ، عاشقة الليل ، الأستاذ (سلطان عزيز) ط ٤ ،١٩٩٤م.

٨- مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، للراغب الأصفهاني (ت٤٢٥ هـ) تحقيق : صفوات عدنان داوودي ن ط١ ، طليعة النور ،٢٠٠٠م.

٩- معجم مقاييس اللغة (لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا) (ت٣٩٥ هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية

١٠-مجلة أقلام (ع١١-١٢) ت٢- ك ١٩٩١م.